مدخل إلى دراسة تجربة محمّد العروسي المطوي الشّعريّة

An introduction to the study of Muhammad Al-Aroussi's poetic experience

https://aif-doi.org/AJHSS/119405

الدّكتورة: هادية صالح مشيخي
الدّكتور: بسّام بن بلقاسم البرقاوي

أستاذ مساعد / قسم اللّغة العربيّة بجامعة الشّرقيّة/ سلطنة عمان.
hadya.mcheikhi@asu.edu.om
أستاذ مساعد / قسم اللّغة العربيّة بجامعة الشّرقيّة/ سلطنة عمان.
bassem.bargaoui@asu.edu.om

الملخّص باللّغة العربيّة

يهدف هذا العمل إلى نفض الغبار عن تجربة شعريّة لم تنل حظّها من الدّراسة. ولعلّ شهرة صاحبها محمّد العروسي المطوي الأديب التّونسي قصّاصا روائيّا قد حجبت تجربته الشّعريّة. وهي في تقديرنا تجربة مهمّة، لكونها شاهدا على اللّحظات الأولى لميلاد الشّعر الحديث في البلاد التّونسيّة، وما رافق ذلك الميلاد من صراع بين أنصار الجديد وأنصار القديم. لذلك أخذنا النّفس برسم مدخل عام لتجربة المطوي الشّعرية في قسمين بارزين: يهتمّ الأوّل بالأشكال الفنيّة في تردّدها بين التّليد والطّريف. ويتّصل الثّاني بـــ "الأغراض" الشّعريّة في اتّصالها بالسّنة الشّعريّة وانفصالها عنها. واعتمدنا المقاربة الوصفيّة التّحليليّة منهجا في الدّراسة. وقد خلصنا إلى جملة من النّتائج أهمّها أنّ المطوي كان من دعاة التّجديد دون تنكّر للقديم، وأن شعره وإن دار على ثلاثة ذرى السّياسة والرّمز والحب فقد تردّد في النّهاية بين تيارين: التّيار الوجداني، والتيّار القوميّ الاجتماعيّ.

الكلمات المفاتيح: الشّعر التّونسي - الشّعر الحرّ- الشّعر الوطني- محمّد العروسي المطوي.

Abstract:

This work dusts off a poetic experience that has not had the chance to be studied. Perhaps the fame of its author, Tunisian novelist Muhammad al-Aroussi al-Matwi, has obscured his poetic experience. It is, in our view, an important experience, as it witnessed the first moments of the birth of modern poetry in Tunisia and the conflict that accompanied that birth between the supporters of the modern poetry and the supporters of the old one. We decided, therefore, to draw a general introduction

ISSN : 2410-1818

to al-Matwi's poetic experience in two prominent sections: the first is concerned with artistic forms as they waver between the long-standing and the neoteric. The second deals with the poetic "objectives" when connected with, or separated from, the poetic scheme.

And we adopted, in this paper, the descriptive analytical approach as a method of study and reached a number of conclusions, the most important of which is that al-Matwi was an advocate of renewal without denying the old and that his poetry, though revolving around the three pillars of politics, symbolism, and love, ultimately wavered between two currents: the emotional current and the social nationalist one.

Keywords: Tunisian poetry - free poetry - national poetry - Muhammad Al-Arousi Al-Mutaw

مقدّمة

اشتهر الأديب التّونسي محمّد العروسي المطويّ[1] قصّاصا روائيّا شهرة غطّت على منزلته رائدا من روّاد الشّعر العربي الحديث في تونس. وهو صاحب ثلاث مجموعات شعريّة. الأولى هي" فرحة شعب" التي جعلها تغنيّا بفرحة الشّعب التّونسي بعد طرد المستعمر الفرنسيّ. وقد نشرت أغلب قصائد هذه المجموعة في مجلّة "الفكر" سنة 1956. والثّانية هي "ومن الدّهليز". ويصنّفها بعض النّقاد في باب الاتّجاه الرّمزيّ. وتعود قصائدها إلى بداية الخمسيات (1953- 1955) عندما تأسّست مجلّة "النّدوة" وانضمّ إلى أسرة تحريرها. "وحُبيّك" وأكثر قصائد هذا الدّيوان التي درات على الغزل إنّما تعود إلى فترة الشّباب.

دواعي البحث وأهميّته

يبدو الكلام على تجربة محمّد العروسي المطويّ الشّعريّة في أشكالها ومضامينها مهمّ لوجوه عديدة. فهو ينفذ إلى نوع من الكتابة الأدبيّة التي جرّبها هذا الأديب، ولم يُعرف بها بعد أن غلب عليه فنّ الرّواية واشتهر به شهرة حجبت إلى حدّ بعيد ما كتبه الرّجل في الشّعر إبداعا ونقدا وتحقيقا. وهو يطرق مدوّنة نصيّة جمعت في ثلاثة دواوين. ومع ذلك فهي ما تزال في حاجة إلى جمع مخطوطها، وتجميع ما تفرّق من قصائدها في عدد غير قليل من الدّوريات.

[1] – محمّد العروسي المطوي (1920– 2005) أديب وديبلوماسي تونسي. من رواياته " التّوت المرّ" و" حليمة" و"رجع الصّدى". كتب للأطفال قصصا عديدة. نذكر منها " أبو نصيحة " و"السمكة المغرورة " و"عنز قيسون " و"جنية ابن الأزرق " و "شعاطيط بعاطيط" و "أمّ العصافير". حقّق مؤلّفات كثيرة أبرزها " خريدة القصر وجريدة العصر" و" أنموذج الزّمان في شعراء القيروان" "تحفة المحبيّن والأصحاب".

ISSN : 2410-1818

الدّراسات السّابقة

إنّ أقصى ما يمكن أن يظفر به المرء وهو يقلّب النّظر فيما كتب حول دواوين المطوي الشّعريّة وإشارات سريعة مختزلة تنبّه إلى منزلته في الشّعر الوطنيّ كقول بعضهم" ولعلّ أبرز الشّعراء الذين اعتنقوا القضيّة الوطنيّة إلى جانب الأخوين صمادح ومصطفى الحبيب بحري هم أحمد اللّغماني والشّاذلي زوكار ومحمّد العروسي المطوي. [1] كما لا نعدم وريقات معدودات تنبّه إلى منزلته في التّأسيس إلى القصيدة الحرّة[2]. لعلّ أهمّها ما كتبه محمّد صالح الجابري وهو يؤرّخ للشّعر التوّنسيّ[3]. ونظفر أيضا بنزر من المقالات المنشورة على أعمدة الصّحف. لعلّ أبرزها تلك التي كتبها حسين العوري وسوف عبيد.[4]

منهج البحث وإشكاليته

نسعى في هذا العمل بمنهج وصفيّ تحليلي أن ندفع الغبن عن صورة المطويّ شاعرا من خلال دراسة وصفيّة عامّة تبحث في الأشكال والمضامين التي وسمت دواوينه الشّعريّة. ونروم من وراء ذلك أن نجيب عن التّساؤلات التالية: ما هي أهمّ الخصائص الفنيّة التي ميّزت تجربة المطوي الشّعريّة؟ وما هي الأغراض الشّعريّة التي استهوته؟ وما موقفه من الّشعر العربي الحديث؟

خطّة البحث

المبحث الأوّل: من الخصائص الفنيّة الواسمة لشعر المطوي.

المطلب الأوّل: العتبات.

المطلب الثاني: بنية القصيدة بين المحافظة والتّجديد.

المبحث الثّاني: المضامين الشّعرية في دواوين المطوي: ثلاثيّة السّياسة والرّمز والحبّ.

المطلب الأوّل: ذروة السّياسة.

---

[1] – تأليف جماعي، **تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر**، تونس، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون والحكمة، 1993، ص. 94.

[2] – آثرنا في المقدّمة استعمال كلمة "القصيدة الحرّة" و "الشّعر الحرّ" لأنّها التّسمية التي كانت رائجة في وسم الشّعر الحديث والمعاصر آنذاك.

[3] – محمّد صالح الجابري، **ديوان الشّعر التّونسي تراجم ومختارات**، تونس، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع، 1974، ص. ص. 131، 141.
– الشّعر **التّونسيّ المعاصر، 1870/ 1970**، تونس، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع،1974، ص. ص. 603– 609.

[4] – حسين العوري، تجربة الشّعر الحرّ في تونس حتّى نهاية 1968، تونس، منشورات كلية الآداب منوبة، 2009 حسين العوري، **محمّد العروسي المطوي شاعرا**، المسار (تونس)، ع.52، جويلية أوت 2001، ص. ص. 63– 64. – سوف عبيد، " **من عزف الحياة إلى نشيد الموت**"، قصص (تونس)، ع. 136، 2006.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثّاني: ذروة الرّمز.

المطلب الثّالث: ذروة الغزل.

المبحث الأوّل: من الخصائص الفنيّة الواسمة لشعر المطوي

لعلّ الإحاطة بأبرز خصائص الشّكل في تجربة محمّد العروسي المطوي تتوقّف على النّظر في ثلاث مسائل بارزة. تتعلّق الأولى بالعتبات. وترتبط الثّانية ببنية القصيدة. وتتّصل الثّالثة بالإيقاع. ويهمّنا قبل تفصيل القول في هذه المسائل أن نتوقّف عند نصيّن نقديّين يكشفان بعض مواقف المطويّ من الشّعر الحديث الذي يطلق عليه في آرائه النّقديّة مصطلح " الشّعر الحرّ".

ثبّت المطوي في مقدمة ديوانه "ومن الدهّليز" مقالا نقديّا عنوانه "موقف من ظاهرة الشّعر الحرّ". وهو في الأصل مداخلة ساهم بها في ملتقى حول الشّعر. وقد أشار إلى أنّه وضع هذا المقال في هذا الموضع " لا تقديما للمجموعة، بل إثباتا لموقف". ويهمّنا منه في هذا السّياق قوله " وإذا كنت – وما أزال – اعتبر الشّعر الحرّ ضرورة تطوّر حتميّة فلا يعني ذلك القطيعة المطلقة بينه وبين الشّعر العموديّ. فمذهبي وسط يحافظ على عمود الشّعر، وهو عندي النّغم والوزن مهما اختلفت ضروبه وتعدّدت أصنافه. ولا ضمان لذلك إلاّ بالحفاظ على التفّعيلة في ضروبها القديمة والمستجدّة وذلك الضّمان المميّز بين الشّعر والنّثر" [1]

يبدو موقف المطوي صريحا لا يحتاج إلى تفسير أو تأويل. فهو يتّخذ موقفا وسطا في فترة زمنيّة كانت الخلافات فيها على أشدّها بين أنصار القديم وأنصار الحديث ولا سيما في المشرق العربيّ. فهو ينتصر للحديث ويباركه. ولكنّه لا يتنكّر للقديم ويبغضه. ونظرته إلى التّحوّلات في الأدب تؤمن بالتّواصل والاتّصال، ولا تؤمن بالانقطاع والانفصال. وقد رأى أنّ التّفعيلة والإيقاع هما الضّامنان الأساسيّان إلى عدم التّنائي بين قديم الشّعر وحديثه. وسنرى إلى أي مدى كانت تجربته الإبداعيّة منسجمة مع هذا الموقف النّقديّ.

وأمّا النّص الثّاني فهو قصيدة "الشّاعر الطّموح" التي كتبها الشّاعر سنة 1949 وقال في مقطعها الأخير:

أين منا الشّاعر الصّداح بالعهد الجديـــــــــد
ينفخ الآمال في (ناي) التّسامي والصّـــــعود
وينادي مجمع النوّام في وادي الهمـــــــــــــود
ويؤم النّاس في الميدان خفّاق البنـــــــــــــود
يرتمي في لجةّ الأحداث كالسّهم السّديـــــــــد

[1] – محمّد العروسي المطوي، من الدّهليز، تونس، الشّركة التّونسية لفنون الرّسم، ط.1، 1987..

ISSN : 2410-1818

همّه: في قمّة العلياء، أو قبر الشّهيـــــــــــــد [1]

إذا نظرنا إلى القصيدة إجمالا، وإلى هذا المقطع على وجه التّحديد رأينا المطوي يحددّ للشّاعر المواضيع التي يجب أن ينشغل بها دون غيرها. ورأيناه يضبط رسالة الشّعر ويجعلها لا تخرج عن شحذ العزائم واستنهاض الهمم ومناصرة قضايا التّحرر ومقاومة الاستعمار.

ولعلّ هذه الرّسالة تتلخّص في مصطلح "الالتزام الذي استخدمه المطوي وهو يقدّم ديوان الميداني بن صالح "قرط أمّي"." إنّ إيمانه المطلق بالحرف ورسالته وتعلّقه الصّادق بشعبه ووطنه، وتمسّكه القويّ بمبدأ سعادة الإنسان وإسعاده، جعلته كلّها يمثّل المفكّر الملتزم، وأكاد أقول، المتطّرف في التزامه، لأنّه لا يفهم معنى للتلفّظ بالوطنيّة أو الحديث عن الاشتراكية متى حاد "الحرف" عن ذلك، عقيدة منه بأنّ الأديب الأصيل مسؤول وصاحب رسالة " [2]

ولا شكّ في أنّ موقف المطوي من علاقة النّصّ بشروطه التّاريخيّة لا يخرج عن اتّجاه بارز في تاريخ النّقد الأدبيّ يعتبر أنّ الشّعر لا يمكنه إلاّ أن يكون مثقلا بأوجاع اللّحظة التّاريخيّة التي يعبّر عنها. فقد "ذهب الشّاعر الإنجليزي ت. س. إليوت (1888- 1965) إلى أنّ وظيفة الشّعر تختلف باختلاف العصر. وقد سبقه في التّلويح لهذه الإشراقة النّقديّة بيرسي بيش شيلي (1792 - 1822) بتأكيده أنّ الشّعر آليّة للتّغيير النّقافي وللتّأثير في القيم والمعايير الاجتماعيّة، وهو ما نفهم منه وجود رابطة وعلاقة سببيّة جدليّة قائمة الذّات بين القصيدة وزمن كتابتها، أي أنّها - القصيدة والتّجربة الشّعريّة عموما - نتاج لحظتها التّاريخيّة وشروطها الاجتماعيّة."[3]

والحقيقة أنّه إذا تتبّعنا مضامين شعره ولا سيما في ديوانه فرحة شعب، وإذا نظرنا في مواقفه النّقديّة حول وظيفة الشّعر الحديث رأينا المطوي ينظر إلى الالتزام في معناه الواسع. فنحن نجد في مضامين كلمة الالتزام " مشاركات واعية في القضايا الإنسانيّة الكبرى السّياسيّة والاجتماعيّة والفكريّة، وليس الأمر مقتصرا على المشاركة في هذه القضايا، وإنّما يقوم الالتزام في الدّرجة الأولى على الموقف الذي يتّخذه المفكّر أو الأديب أو الفنّان منها، وهذا الموقف يقتضي صراحة ووضوحا وإخلاصا وصدقا واستعدادا من المفكّر الملتزم لأن يحافظ على التزامه دائما" [4]

---

[1] – محمّد العروسي المطوي، **فرحة شعب**، ص. 16.

[2] – الميداني بن صالح، **قرط أميّ**، تونس، الدّار التونسية للنّشر، 1969، ص. 12.

[3] – آمال موسى، "**حول دور الشّعراء في زمن الشّر السّائل**"، الشّرق الأوسط، ع. 14446، 17 يونيو 2018.

[4] – أحمد أبو حاقة، **الالتزام في الشّعر العربي**، ط1، 1979، بيروت، دار العلم للملايين، ص. ص. 13 – 14.

ISSN : 2410-1818

المطلب الأوّل: العتبات

لعلّنا لا نستطيع أن ننفذ إلى دواوين محمّد العروسي المطوي دون أن نقف طويلا عند عتباتها ولا سيما عند عتبة الإهداء. ذلك أنّ هذه العتبة إلى جانب عتبات أخر تؤكّد " الدّور التّواصلي الهامّ الذي تلعبه في توجيه القراءة، ورسم خطوطها الكبرى".[1] وسنحاول أن نبيّن كيف كان لهذه" العتبات "سياقات توظيفيّة تاريخيّة ونصيّة ووظائف تأليفيّة تختزل جانبا من منطق الكتابة "[2] لا سيما عندما يتعلّق الأمر بالنّصوص التّمهيديّة. وسنهتمّ في هذا القسم من البحث بالعنونة وبالإهداء وبالتّقديم وبالنّصوص التّمهيديّة.

العنونة: عنون المطوي ديوانه الأوّل "فرحة الشّعب" وأردفه بعنوان فرعي - أو عنوان أصغر- "شعر من لهيب الكفاح". ويبدو العنوان الفرعي- في نظرنا- مهّما لسببين على الأقلّ. فهو من جهة قد قيّد هذه الفرحة عندما أشار إلى سببها ولو بشيء من التّعميم. وهو من جهة قد حدّد هويّة الدّيوان والغرض الذي جرى إليه. إذ وصله بزمن الكفاح والنّضال. وهو الزّمن الذي ظهر فيه الشّعر الوطني. وهو الشّعر الذي يشمل "الأناشيد الحماسيّة وتصوير الفظائع التي ارتكبها الغاصب، والمناداة بالاستقلال، والتّحرّر من ربقة الأجنبيّ والحثّ على الثّورة، وتصوير الصّدام بين جنود الاحتلال والوطنييّن المجاهدين" [3]

وإذا تركنا عنوان الدّيوان إلى عناوين القصائد وجدناها منشدّة أيضا إلى زمن الكتابة ومكانها بصورة أو بأخرى. فعناوين من قبيل "رسالة من غار الملح" وحكاية من تازركة" و "9 أفريل نقطة البداية" و"عيد ابن السّجين "وعودة البطل" و"نداء الأرض" تبدو على صلة متينة بالواقع التّونسي زمن الاحتلال الفرنسي وعقب الاستقلال.

وعنون المطوي ديوانه الثّاني بـ " من الدّهليز" وأضاف صديقه الشّاعر الطّيب الشّريف (1935-1966) للدّيوان عنوان آخر" الرّمز واللحّظة الهاربة". ويبدو العنوان الثّاني - في نظرنا - أقرب إلى مضمون هذا الدّيوان أكثر من العنوان الأصليّ. ذلك أنّ الكتابة في هذا الدّيوان لم تنطلق من أوجاع الحاضر كما هو الشّأن مع الدّيوان الأوّل. بل كانت نظرات وتأمّلات في الكون والحياة والزّمن. وتجلّى ذلك في بعض عناوين القصائد من قبيل" صوفيّة جديدة"، " الأمس والخشبة " " في ضيق الكون"

وعنون ديوانه الثّالث بـ" حُبيّك" وهو الكلمة التي أشرقت بها قصيدته الثّانية " يكفيك". ويبدو أنّ هذه التّسمية قد اختزلت إلى حدّ كبير مضمون هذه المجموعة الشّعريّة التي طالب فيها شعر الحبّ والحنين بنصيب غير قليل. وبناء على هذه العناوين الثّلاثة يمكن القول إنّ شعر المطوي عرف ثلاث ذرى: ذروة الحبّ التي اشتعلت في قلبه وجعلته يتساءل في بوح مرير عن الحبّ إذا ما وهن العظم من المرء واشتعل

---

[1]- عبد العالي بوطيب، **برج السّعود وإشكالية العلاقة بين الرّوائي والتّاريخي**، المناهل، المغرب، ع.55، يونيو 1997، ص. 64.

[2] - عبد الفتاح الحجمري، **عتبات الكتابة: البنية والدلالة**، الدّار البيضاء، منشورات الرّابطة، 1996، ص. 17.

[3] - عمر الدّسوقي، **في الأدب الحديث**، دار الفكر العربيّ، ط.7، 1979، ص. 294.

ISSN : 2410-1818

رأسه شيبا. وذروة السّياسة التي طوّحت به وأعيته. ولعلّ هذه الذّروة نفسها قد شغلته "عن مواصلة كتابة الشّعر فترة طويلة من الزّمن بعد أن استقلّت البلاد واحتاجت الإدارة التّونسيّة إلى النّخبة كإطار عامل".[1] وذروة الرّمزيّة التي عصفت بفكره وملأت عليه تفكيره لفترة من الزّمن.

-الإهداء: يعدّ الإهداء" أحد المداخل الأوليّة لكل قراءة ممكنة للنّصّ".[2] ولعلّ أطرف ما وجدناه في مدوّنة المطوي الشّعريّة هو كلامه الواصف للإهداء باعتباره عمليّة عسيرة يقول" قد يتردّد الكاتب في اختيار من يهدي له كتابه، إنتاجه، وقد تتعارض الجهات، وتتنافس المرجّحات. ولكن في بعض الأحيان تنفرد الجهة وتفرض نفسها بما لها من دالّة، أو صلة قويّة، أو أثر مكين".[3] وقد بدا أنّ المرجّحات قد رشّحت شخصين عزيزين على قلب المطويّ هما بنيته التي جاءت إلى الدّنيا تملأ البيت سرورا وحبورا وصديقه الذي حزم حقائبه ورحل دون عودة.

أهدى المطوي هديّتين. الأولى لابنته إحسان. والثّانية لصديقه الطّيب الشّريف. أمّا الإهداء الأوّل فكان في ديوانه الأوّل" فرحة شعب". وممّا جاء فيه "عزيزتي إحسان عندما بدأت تدبّين على الأرض، كانت أقدام الاستعمار تدعي التّمكن من وطننا الحبيب. لكن سرعان ما شاهدت عيناك تزلزل تلك الأقدام بعدما سمعت أذناك لعلعة الرّصاص، وصيحة الشّعب وهتاف الجماهير بالعزّة والاستقلال. وكنت تحسبين كلمة "استقلال" لعبة يفرح لها الكبار كما تفرحين أنت بلعبتك الجميلة، وقطّتك الصّغيرة."[4]

في الإهداء جمع بين الذّاتي والموضوعيّ، ووصل بين المحليّ والعالميّ، وربط بين البراءة والتّوحّش. ففي الوقت الذي كانت فيه "إحسان" تصنع الفرحة في أسرة المطوي، كان الشّعب التّونسي يصنع فرحة الاستقلال. ولعلنا لا نبعد إذا قلنا إنّه بين لعلعة الرّصاص التي أشقت العدوّ وطوّحت به وبين اللّعب الجميلة التي سلّت هذه البنية وأسعدتها، اكتسى هذا الإهداء طرافته. ومن الجمع بين المحليّ والعالمي انداحت دائرة الفرحة " وتساءلت مرّة عن معنى الخونة والمارقين وتساءلت مرّات عن جبال الأطلس وثورة الجزائر. ثم كنتُ بقاهرة المعزّ لمّا قام العدوان الثّلاثي على مصر وسمعت أزيز الطّائرات وطلقات المدافع. وفي بغداد هالتك الجموع الحاشدة، والجماهير الهاتفة فكانت لك تساؤلات واستيضاحات. وعرفت أنّ الشّعب " ثار". في ذلك الحين كان لعقلك بعض النّمو، ففهمت كيف تفرح الشّعوب عندما

---

[1] – محمّد صالح الجابري، **ديوان الشّعر التّونسي الحديث**، ص. 132.

[2] – عبد الفتاح الحجمري، **عتبات الكتابة: البنية والدّلالة**، الدّار البيضاء، منشورات الزّابطة، 1996، ص. 30.

[3] – محمّد العروسي المطوي، **فرحة شعب**، ص. 7.

[4] – المصدر نفسه، ص. 7.

ISSN : 2410-1818

تتحقّق لها الآمال. وهذه الصّفحات تمثل تلك الفرحة، يا عزيزتي إحسان، تمثّل فرحة الشّعوب عندما تحطّم الاستعمار، وتزيل الطّغيان، وتعمّها فرحة الحياة " [1]

وقد لا نعدو الصّواب إذا قلنا إنّ هذا الإهداء ينطبق عليه قول الذي قال إنّ للإهداء" سحرا خاصّا في النّفوس باعتباره مساحة نصيّة جاذبة ومثيرة للفضول، ينتقل معه القارئ إلى ورقة بيضاء نقيّة، تقتطع فيها الرّوح (الذّات الكاتبة) لحظة خاطفة من أجل ممارسة بوح منفلت من سيطرة الزّمن، تخطّ فيه الذّات جموح القلب الذي كان، وإلى ما هو كائن، أو إلى ما ينبغي أن يكون، وذلك على شاكلة خطوط مترعة بالإحساس التّواق إلى تخليد بعض لحظات الوجود الرّوحي العالقة بالبال"[2]

وأمّا الإهداء الثّاني فكان إلى الطّيب الشّريف " لم أتردّد لحظة عندما انقدحت في الذّهن خاطرة الإهداء وبين يديّ مجموعة "من الدّهليز" إذ احتلّ اسم الطّيب الشّريف الصّدارة دون منازع، لأنّه كان أقرب إلى هذه المجموعة الشّعريّة نقلها بخطه لتهيئتها للنّشر، وأضاف إلى عنوانها من الدّهليز عنوانا آخر " الرّمز... واللّحظة الهاربة " كان ذلك في مدينة القاهرة سنة 1957. وتأبي الأقدار وصروف الدّهر ألاّ يظهر" من الدّهليز" إلاّ بعد ثلاثة عقود على وفاة الطّيب الشّريف في عنوان شبابه وخصب عطائه، فإليك أيّها القريب البعيد الغائب الحاضر ما تيّسر ممّا تمنيت نشره إحياء لذكراك، ووفاء لنبوغك، ولوعة على مأساتك التي ذهبت دون صدى ولا ضجّة " [3]

يمثّل الإهداء إلى الميّت سنّة شائعة في الكتابة الأدبيّة. وتصبح هذه السنّة مؤكّدة عندما يكون المهديّ إليه قد شارك بصورة أو بأخرى في كتابة مجموعته الثّانية "من الدّهليز". وقد " كان من المقرّر أن تنشر سنة 1957." [4] إلاّ أنّ الظّروف شاءت إلاّ أن تظهر بعد ثلاثة عقود من موته.

هكذا تردّد الإهداء في مؤلّفات المطوي بين عاطفة الأبوّة التي كتبت نصّا طافحا بالحنان والمحبّة. وعاطفة الصّداقة التي كتبت نصّا وكبد الشّاعر تحترق على من قضى نحبه ولم يمتّع بالشّباب. وبين هذا وذاك نقف على وجه من وجوه الطّرافة. ونعني كلامه على الإهداء باعتباره عمليّة عسيرة لما يعصف بصاحبها من حيرة حين يفكّ في المهديّ إليه. فالمطوي فيما نرى كان له رأي في العتبات قبل أن يصبح الكلام على هذا الموضوع مبحثا شائعا في السّنوات الأخيرة.

---

[1] – محمّد العروسي المطوي، **فرحة شعب**، ص. ص. 7– 8.

[2] – عبد الملك أشهبون، **عتبات الكتابة في الرّواية العربيّة**، دار الحوار للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2009، ص. 203.

[3] – محمّد العروسي المطوي، **من الدّهليز**، ص 5.

[4] – حسين العوري، **تجربة الشّعر الحرّ في تونس حتى نهاية 1968**، ص 65.

ISSN : 2410-1818

-التّقديم: حضر خطاب المقدّمات في ديوان "حبيّك" من خلال المقدّمة التي كتبها منصف المزغني وعنوانها " كلمة البيت". وفيها تحدّث عن الظّروف التي هيّأت لنشر هذه المجموعة الشّعريّة. فقد أشار في مفتتح هذه الكلمة إلى حيثيات اللّقاء مع المطويّ. ثم كتب يقول " استفسرته عن مشاريعه. فأشار إلى كثرتها وقلّة الجهد. فطالبته بأن ينكبّ على الأشياء التي لا يجوز تركها للغير. فنهض ومشى خطوات وئيدات واثقات نحو مكتبه. وعاد بملف قدّمه إليّ قائلا " هذه أشعار لم تنشر في كتاب. وقد كتبت في الشّباب " لم أشأ أن أسأله عن تواريخ كتابتها لإيماني بأنّ واجب القصيدة هو أن تقنع قارئها بأنّها قصيدة لا أن تعلمه بأنّها قديمة أو جديدة. لمعت في ذهني فكرة نشرها ضمن أعمال بيت الشّعر وذلك من باب الوفاء لرجل خدوم للأدباء ودعما لتخادم الأجيال. قال لي:" أيجوز نشرها الآن " فأجبته " لا حياء في الشّعر فكلماتك هذه ملك لفترة لم تعد تملكها بالكلمات" فسكت-، فألححت-، فكتب على أوراقه الشّعريّة المرقونة " لعناية الأخ المزغني للنّظر في إمكانيّة نشرها " [1]

ينهض الخطاب هنا بأهمّ الوظائف التّقليديّة التي تعلّق في العادة على المقدّمة، ولا سيما عندما يتّصل الأمر بدواعي النّشر وظروفه. ولعلّ ما يعنينا أساسا في هذا التّقديم هي الإشارة المتعلّقة بتردّد المطويّ في نشر هذه القصائد. وقد يكون ذلك حيلة فنيّة قصدها الشّاعر، أو قصدها النّاشر أو قصدها الشّاعر والنّاشر معا. وإذا رمنا مزيد التوضيح قلنا لعلّ هذا التّردّد يتنزّل في باب ما سمّاه بعض الدّارسين بـــ" اصطناع التّواضع في الكتابة وعدم الاستعداد والأهليّة لها. ولا ريب أنّ ذلك هو جزء من أدبيات الفصاحة والبيان، ومسلك مأمون لكسب احترام القارئ وتواطئه".[2]

وإذا ما سلّمنا بهذا الرّأي، قلنا إنّ مقدّمة كتاب "حبيّك" تبقى في النّهاية - بتعبير هنري ميتيران - " كذبة أو إيهاما بالأثر، الذي من خواصّه التّعدد المعنويّ، والتّعدد الصّوتيّ، وتعدّد الحمولات الدّلاليّة. وبعيدا عن كلّ اختزال، يحتفظ الأثر دوما بما يسمّيه دريدا استبقاء أو فضلة الكتابة "[3]

- النّصوص التّمهيديّة: إنّ أوّل ما يستوقفنا، ونحن نستعرض القصائد التي ضمتها دواوين المطوي، اطّراد ظاهرة " النّصوص التمهيدية. ونعني بها تلك النّصوص التي يضعها صاحبها بين العنوان والقصيدة ويشير فيها إلى سبب القول. وهي تأتي تمهيدا للنّصّ الأصليّ. فتهيئ القارئ لعمليّة تقبّله. وتنبّه إلى بعض الخفايا التي يمكن أن يغيب أمرها عن ذهن المتقبّل.

---

[1] – محمّد العروسي المطوي، **حبّيك**، ص. 5.

[2] – عبد النّبي ذاكر، **عتبات الكتابة مقاربة لميثاق المحكي الرّحلي العربيّ**، أكادير، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، ط.1، 1998.ص 123.

[3] – المصدر نفسه، ص. 78.

ISSN : 2410-1818

وتتكوّن هذه النّصوص في الغالب من جمل محدودة تنبّه إلى الأسباب الباعثة على القول. ويمكننا أنّ نميّز بين صنفين من النّصوص التّمهيديّة. صنف يهتمّ "بخارج النّصّ" - وهو الأكثر اطّرادا- وقد رشح في ديوانه " فرحة شعب". وصنف يهتم بداخل النّصّ فيستحضر نصّا شعريّا سابقا للشّاعر نفسه أو لشاعر آخر.

ونلاحظ أنّ هذه النّصوص التّمهيديّة قد استبدّت بديوان" فرحة شعب". إذ يكاد لا يخلو نصّ من نصوصه من نصّ تمهيدي يشير إلى أسباب القول. وتقلّصت هذه الظّاهرة في ديوانه" من الدّهليز". واختفت تماما في ديوانه "حبيك". لذلك سنقتصر على دراسة هذه الظّاهرة النّصيّة في ديوانه "فرحة شعب.

مهّد الشّاعر لقصيدته " سلي" بالقول" ران على الشّعب عهد أقتم من الاستعمار وجبروته وأحكامه العرفيّة وحالة الحصار. وظنّ الاستعمار أنّه استقام له الأمر. وظنّ المغفلون أنّ الشّعب أصبح مستنقعا أسنت مياهه ولا حياة فيه". [1]ووطّأ لقصيدته "نداء الأرض" قائلا " وتنفسّت قمم الأطلس من أقصى شماله إلى أقصى غربه الجنوبيّ، تنفّست عن ندائها الخالد ، فاهتزّت جنبات المغرب العربيّ، وكانت التّلبية ".[2] وجاء في فاتحة قصيدته "رسالة من غار الملح " " وحكمت عليه المحكمة بخمس عشرة سنة أشغالا شاقّة. فاقتبلها باسما وقال بشجاعة. إنّكم ستخرجون من بلادنا قبل ذلك التّاريخ ".[3]وكتب يقول في مستهلّ قصيدته "حكاية من تازركة" وهبّ الشّعب ليخوض معارك التحرير، وكانت له مواقف البطولة والفداء. وجنّ جنون الاستعمار، وحاول يائسا أن يؤدّب الشّعب، فبعث بفرق اللّفيف الأجنبي لتقوم بالتّنكيل وبث الرعّب. وكانت فظائعه...الوحشيّة في الوطن القبلي...في تازركة...بني خيار... المعمورة...قربة...حمّام الغزاز وغيرها " [4]

إذا اكتفينا بهذه الشّواهد وجدنا المطوي يساهم في ترسيخ ظاهرة نصيّة كادت تميّز تجربة الشّعر الوطني زمن الاستعمار. ونعني بذلك ظاهرة النّصوص التّمهيديّة التي تشرق بها القصائد. ذلك أنّه أوّل ما يستوقفنا، ونحن نستعرض قصائد الشّعر الوطني اطّراد ظاهرة النّصوص التّمهيديّة التي تأتي في فاتحة النّصّ. فتهيئ القارئ لعمليّة تقبّله، أو ترد في خاتمته فتنبّه إلى بعض الخفايا التي يمكن أن يغيب أمرها عن ذهن المتقبّل.[5] وتتكوّن هذه النّصوص في الغالب من عنصرين بارزين يشير أوّلهما إلى التّاريخ

---

[1] – محمّد العروسي المطوي، **فرحة شعب**، ص. 9.

[2] – المصدر نفسه، ص. 17.

[3] – المصدر نفسه، ص.20.

[4] – المصدر نفسه، ص. 24.

[5] – نذكر تمثيلا أنّ الجواهري قد كتب موشّحا وسمه بـ " أيّها الوحش... أيّها الاستعمار " وممّا جاء في التّمهيد له" هذه هي القطعة الأولى من القصيدة الطّويلة التي شرع الشّاعر بنظمها والحرب الكوريّة على أشدّها إثر التدخّل الأمريكيّ الاستعماريّ فيها (...) نشرت في جريدة الأوقاف البغداديّة العدد 16 في 13 آذار 1951 "محمّد مهدي الجواهري، الدّيوان، بيروت، دار العودة، 1982،

ISSN : 2410-1818

الذي نشأت فيه القصيدة وينبّه ثانيهما إلى الأسباب الباعثة على نظمها. وربّما لا يخفى ما في هذه الظاهرة من تأكيد على عمق الاتّصال بين النّصّ الشّعريّ الحديث وملابسات الواقع. وربّما لا يخفى أيضا ما تثيره "قصيدة المناسبة" من إشكاليات تردّ أساسا إلى ما يمكن أن يوجد من تعارض بين الفنّ والموقف.

إنّ في عناوين " فرحة شعب" مثلما في " النّصوص المجاورة " التي ذكرنا ما يمكن أن يقودنا إلى ملاحظتين بارزتين:

أوّلا: إنّ قراءة هذه النّصوص لا تنبّهنا فقط إلى المجالات التي استأثرت باهتمام المطوي خلال الفترة الاستعماريّة، وإنّما تنبّهنا خاصّة إلى تحوّل جوهريّ في دوافع القول. وهو تحوّل سيقود دون شكّ إلى تحوّل في الرّؤية الشّعريّة التي يصدر عنها الشّاعر المعاصر. فالقصيدة المعاصرة ألفت نفسها في خضم مستجدّات معقدّة أفرزها فلم تستطع عنها حولا.

ثانيا: إذا ما بقينا في حدود هذا الملاحظات التي تثيرها فينا النّصوص التّمهيديّة من جهة الدّوافع التي تقود إلى الشّعر، قبل الخوض في مباني النّصوص ومعانيها، رأينا أنّ المطوي وإن بدا مرتبطا أشدّ الارتباط بمحيطه السّياسيّ ملتصقا أشدّ الالتصاق بقضايا وطنه، فقد انفتح بشعره على أوجاع الشّعوب المستعمرة بصرف النّظر عن انتماءاتها الجغرافيّة والسّياسيّة والدّينيّة. وما من شكّ في أنّ هذا الانفتاح على القضايا الإنسانيّة قد جاء نتيجة تحوّل أساسيّ في النّظر إلى الشّعر ووظيفته.

وقد يكون من المفيد أن نؤكّد أنّ انفتاح المطويّ على القضايا الإنسانيّة قد تجاوز مجال الإبداع إلى مجال النّقد. فقد أعجب بتجربة الشّاعر السّوداني محمّد الفيتوري الذي تغنّى بثورة القارة السّوداء. ورأى أنّ أفضل من عبّر عن إرادة هذه القارّة هو إنّما الفيتوري، إذ نلمس في شعره" إرادة بعث جليّ، وثورة جامحة، مع عزّة وكرامة وأنفة وإباء ".[1] وهو يراه شاعرا " صادقا في لهجته، جامحا في ثورته، منذرا الطّغاة البيض الغاصبين بيوم الثّورة القريب، هذا الأبيض الغاصب الذي دنّس أرضه وأجبره

ج. 3، ص. 63. وكتب إبراهيم طوقان قصيدة " ردّ على رؤوبين شاعر اليهود " وقد جاء في التّعريف بأسباب نشأتها ما نصّه " نشرت الجريدة اليهوديّة (دوار هايوم) قصيدة لشاعر اليهود رئوبين، نقلتها إلى العربيّة جريدة فلسطين، وعنوان القصيدة " أنشودة النّصر" أتى فيها الشّاعر على الحوادث الأخيرة في فلسطين مشيدا بذكر اليهود وشجاعتهم في الطّعن والضّرب زاريا على العرب (أبناء هاجر وإسماعيل)...! خوفهم ووحشيّتهم وهزيمتهم! زاعما تارة أنّهم عزل مظلومون وأنّ العرب على تسليح الإنكليز لهم كانوا لصوصا وقطّاع طرق وأهل خيانة وغدر يعتدون على الأطفال والشّيوخ والنّساء. وقد نظمت هذه القصيدة ردّا على أنشودة النّصر غير معترض كثيرا إلى الحوادث بقدر اعتراضي إلى تاريخ اليهود وتوراتهم وما عرفوا به من قبل، وما هم عليه اليوم من الادّعاء الباطل والغدر ونكران الجميل ممّا يناقض كلّ ما ادّعاه الشّاعر رئوبين وما وصف به قومه من المزايا والأخلاق" إبراهيم طوقان، الأعمال الشّعريّة الكاملة، ص. 21.

[1] – محمّد العروسي المطوي، **الفيتوري الشّاعر الثّائر**، الفكر(تونس)، السّنة الأولى، ع. 8، ماي 1956، ص.67.

ISSN : 2410-1818

على الخضوع والمذلّة ". [1] ذلك أنّ شعره" مليء بالصّور ذات اللّون الصّارخ العنيف، مليء بالمشاهد القلقة الفزعة، مشاهد " الوجود الإفريقيّ " في ذلّة وعبوديته، وفي قلقه وتململه، وفي ثورته وبركانه" [2]

المطلب الثّاني: بنية القصيدة بين المحافظة والتّجديد

تنوّعت بنى القصائد في دواوين المطوي وجمعت بين شكلين بارزين القصيدة العموديّة وقصيدة التّفعيلة، وإن كانت قصائد التّفعيلة أكثر عددا. ففي ديوانه " فرحة شعب " لم يعتمد البنية الكلاسيكيّة إلاّ في قصيدة واحدة هي قصيدة " الشّاعر الطّموح". وقد اعتمد فيها ظاهرة التّدوير. أمّا في ديوانه" حبيّك" فقد وجدنا أكثر من قصيدة قد بنيت على ثنائية الصّدور والأعجاز.

وقد لا نعدو الصّواب إذا ذهبنا إلى أنّ دواوين المطوي قد ألّفت توليفا لطيفا بين شكلين بارزين استأثرا بالكتابة الشّعريّة على عصر هذا الأديب. فـ" لقد شهدت الخمسينات نمطين من أشكال بناء القصيدة: النّمط السّالف، وكان من أبرز من عرف بالكتابة فيه محمّد زيد، أحمد المختار الوزير، مصطفى خريف، الصّادق مازيغ، محمّد المرزوقي، منور صمادح)، ونمط الجديد الذي كتب فيه (محمّد العروسي المطوي، أحمد اللّغماني، محسن بن حميدة...) وقد تعايش هذان النّمطان في تسامح، وعبّرا عن كلّ الأحداث الهامّة التي كانت مدار الاهتمام في تلك الآونة [3]

ولعلّ ما يعيننا هنا أن نشير إلى بعض مظاهر الطّرافة التي ميّزت بناء النّص الشّعريّ في تجربة محمّد العروسي المطوي. فهو وإن أكدّ أهمّية " النّصّ السّمعي" حين اعتبر النّغم أحد العناصر التي تحمي النّصّ من الضّياع والتّلاشي، فإنّنا نراه يحتفي "بالنّصّ البصريّ" من خلال توزيع تفعيلات الأبحر توزيعا لا نكاد نجد له أشباها ونظائر به في أولى التّجارب الشّعريّة التي أرهصت بتباشير الثّورة على القصيدة التقّليديّة.

فإذا استمعنا مثلا إلى قصيدته " سلي "وجدنا الشّاعر يمزج مزجا غير مألوف بين تفعيلات المتقارب. فتكون تامّة في الصّدور مشطورة في الأعجاز. وهو إلى ذلك ينوّع في الرّوي من بيت إلى بيت. وإذا نظرنا إليها استرعى انتباهنا بناء نكاد لا نجد له شبيها في القصائد الكلاسيكيّة. ومن ثمّة اعتبرها العوري نصّا " يحمل إرهاصات القصيدة الحرّة " [4]

سلي ما جنته يد العابثين
بكيد مكين

---

[1] – المصدر نفسه، ص. ص.67– 68.

[2] – المصدر نفسه، ص. 67.

[3] – محمّد صالح الجابري، **دراسات في الأدب التّونسي**، ليبيا، تونس، الدّار العربيّة للكتاب، 1978، ص. ص. 172، 173.

[4] – حسين العوري،" **محمّد العروسي المطوي شاعرا**"، ص. 63.

ISSN : 2410-1818

تري أنّ عهد الصفا انقضى
وغاض معين الهنا والرضى
وأضحى يسوق حطام البشر
ضلال العصر
كأنا حكمنا به بهدي القفا
وسرنا بوحي الخنا والجفا[1]

لعلّ هذه أبرز الظّواهر الشّكليّة التي تؤكّد انخراط المطوي في تيّار الدّاعين إلى الشّعر الحرّ. وفي هذا السّياق قال حسين العوري " فالتّجديد في البناء كان هاجس الشّاعر وهو لم يتجاوز العشرين. (...) وهذا التّجديد لا يتوقّف عند التّصرّف في تفعيلات البحر، وإنّما يتجاوز ذلك إلى تنويع الرّوي من بيت إلى آخر إذا ما اعتبرنا التّوزيع العموديّ أو كلّ سطرين شعريين إذا ما اعتبرنا توزيع الشّعر الحرّ" [2]

المبحث الثّاني: المضامين الشّعرية في دواوين المطوي: ثلاثيّة السّياسة والرّمز والحبّ

لن يكون من مشاغلنا في هذه المقاربة الأولى لتجربة المطوي الشّعريّة أن نفصّل القول في كلّ ما يتّصل بالمضامين الشّعريّة التي إلى رشحت في دواوينه الثّلاثة. بل أقصى ما نجري إليه التّنبيه إلى الظّواهر العامة التّي تعلّقت بالذّرى التي كنّا أشرنا إليها سابقا.

المطلب الأوّل: ذروة السّياسة

ليس عجبا أن تكون تجربة محمّد العروسي الشّعريّة المطوي مثقلة بأوزار السّياسة. فهو قد عاش في فترة زمنيّة قاتمة في تاريخ تونس. وتأثّر بها. وانخرط مع غيره من الشّعراء في الدّفاع عن الوطن بالكلمة. ويمكننا أن نحسب ديوان" فرحة شعب" على الشّعر الملتزم الذي تستبدّ به الوظيفة الاجتماعيّة. وهي وظيفة" حتّمتها طبيعة المرحلة التّاريخيّة وتصدّع العلاقة مع الآخر وطغيان الوظيفة الاحتجاجيّة النّضاليّة ضدّ الاستعمار وأشكال استهداف الهويّة، فكان تطويع مضمون القصيدة لخدمة قضايا التّحرر العربيّ".[3]

وإذا ما تتبّعنا المعاني التي دارت عليها قصائد هذا الدّيوان ألفينها قد اهتمّت بأبرز المعاني التي يدور عليها الشّعر الوطني: تمجيد النّضال وفضح للاستعمار وتشهير بأفعاله الإجراميّة، وزراية بالخائنين المتواطئين معه.

---

[1] – محمّد العروسي المطوي، **فرحة شعب**، ص. 9.

[2]– حسين العوري، **محمّد العروسي المطوي شاعرا**"، ص. 64.

[3] – آمال موسى، **حول دور الشّعراء في زمن الشّر السائل**، الشّرق الأوسط،

ISSN : 2410-1818

يقول في قصيدته " حكاية من تازركة "التي كتبها سنة 1952:

يا زُمْرَةً كِلاَبْ

يا معشرًا ذئابْ

يا حفنةً من أوسخ ترابْ [1]

ويقول في قصيدته " الخائن في لحظته الأخيرة "

وتهامس " الممدود" كالصل الفتيل:

" ماذا كسبت من الدنا؟

" لا شيء في دنيا الغرور.

ذل وعار

هم أذل من البوار

ويلاه من سوء المصير

هلا أكفر عن حياة

كانت من النوع الحقير

" كانت سرارا خادعا

" رباه لو كانت عدم " [2]

ويقول في قصيدة " نداء الأرض "

سأعيد أرضي منهم

واثيرها حربا عوان

لا أرهب الظلم الغشوم

لا أرعوى

ما دمت أنبس بالحياة[3]

[1] – محمّد العروسي المطوي، **فرحة شعب**، ص. 28.

[2] – المصدر نفسه، ص. 47.

[3] – المصدر نفسه، ص.18.

ISSN : 2410-1818

إذا اكتفينا بهذه النّماذج قلنا إنّ أغلب القصائد التي ضمها ديوان " فرحة شعب" جاءت في نبرة صاخبة. بدا الشّاعر متوتّرا منفعلا لذلك يمعن في التوسّل بالأساليب الإنشائيّة، ويسرف في وسم المستعمر، وأعوانه بالغدر، والوضاعة واللّؤم- وتلك عادة أكثر الشّعراء الذين جايلوا الاستعمار- فهو لم يكظم غيضه، ولم يوار انفعالاته. ومن ثمّة شاعت في أشعاره أساليب الشّتم الصّريح والسّبّ الظاّهر وغابت الصّورة الشّعريّة التي تنقذ النّص من رتابة التّقرير وسفور المعنى. وعموما لقد غلب على ديوان" فرحة شعب" خطاب انفعالي متوتر شارف أحيانا عتبات الهجاء الصريح لغة الخطاب ويبدو أن عبد العزيز قاسم كان على حق حي كتب يقول " لقد ظلّ شعرنا العربيّ يشكو في أغلب إنتاجه مرض المديح والمفاخرة والهجاء، لذلك عندما واجه قضايا الوطنيّة لم يجد ما يقوله في هذا الغرض الجديد إلاّ لغة المديح والمفاخرة في دفاعه عن الوطن ولم يجد إلاّ لغة الهجاء في مقاومته للمستعمر" [1]

كانت الأشلاء في كل مكان

تتطاير

في باب المنارة

عند باب " العلج "

في باب سويقه

عند باب البحر

في كل مكان

تطغى على هذا المشهد التّسجيلي المباشرة الجافة فيستحيل الشّعر إلى " تقرير منظوم " ولقد تجلّى هذا النّظم في التّحايل على التّراكيب والمألوف من التّعابير. ففي السّطر الشّعري استغنى الشّاعر عن " الجار " واحتفظ بالمجرور حتّى يستقيم له الوزن. ولنفس الغاية عدل في نهاية السطر الخامس (العلج) عن الجمع إلى صيغة الإفراد " [2]

وصفوة القول في الشّعر التّونسي الذي ظهر في هذه المرحلة (1947- 1956) "أنّه قد ارتبط ارتباطا وثيقا بالأحداث المصيريّة التي عاشتها البلاد وأسهم بقسطه في النّضال من أجل الاستقلال. وإذا لم تفرز لنا الفترة شعراء أفذاذا من طينة الشّابي فلأنّ الشّعراء الذين اعتنقوا قضية التّحررّ الوطنّي

[1] – عبد العزيز قاسم، **الشّابي بعد أربعين سنة**، مجلّة الفكر، السّنة 20، ع.4، جانفي 1975، ص. 58

[2] – حسين العوري، **تجربة الشّعر الحرّ في تونس حتّى نهاية 1968**، ص، 337.

ISSN : 2410-1818

كانوا شبانا في بداية طريقهم "[1]إنّ طبيعة المرحلة التي فرضت الانشغال بالقضايا أكثر من الفن وبالمعنى أكثر من المبنى تبرر بلا ريب غياب " المبدعات الرّائقة " و" الرّوائع الخالدة " [2]

المطلب الثّاني: ذروة الرّمزيّة

تجسّدت هذه الذّروة في كتابه " ومن الدّهليز" وهو ديوان يطرح قضيّتين أساسيتين: تتعلّق الأولى بالنّزعة الصّوفيّة التي سرت في عدد غير قليل من القصائد. وقد تنبّه إلى هذا الملمح البارز أكثر من دارس. من ذلك أنّ الجابري أكّد أنّنا نرى في هذه المجموعة الشّعريّة " نسغا صوفيّا، تعابريها تمتزج بتلك الألفاظ التي تتداولها حلقات الذّكر وكتب المتصوّفة. فهي صبابة، وهوى، وتسابيح، وكنه، ومطلق، ووجد، وترياق... نشعر بأنّ الشّاعر ينحت بعض ألفاظها من خاصّة أشبه في صلابتها وشدّتها بالصّخر (...) والشّاعر بهذه الطّريقة كان يريد اقتحام عالم الحلم معزّزا بحرّاس صلاّب"[3] وأضاف يقول:" إنّ صوفيّة المطوي إذن صوفيّة رجل عاشق للأرض وللإنسان، وحلمه لا ينشدّ بلوغ المراقي الخياليّة التي تزلّ براكبها في المهمة القفر. إنّه حلم أرضي من أجل السّعادة والخير والرّفاه. فيه الصّراع الدّامي والوحشة والانتصار والهزيمة "[4]

وأمّا الظّاهرة الثّانية فتتمثّل في الغموض الذي يصل درجة الابهام الذي لا يمكن معه فهم معاني القصيدة مهما كانت المفاتيح إلى قراءتها. وهي ظاهرة بدروها قد لفتت الدّارسين فقالوا عنها " وأمّا محمّد العروسيّ المطويّ وقد اختار هو أيضا شكل الشّعر الحّر فإنّ جلّ قصائده التي نشرها قبل الاستقلال بين سنتي 1953 و1955 قد اتّسمت بالغموض الشّديد نتيجة إيغاله في الرّمزيّة [5] وقريبا من هذه المعاني كتب العوري يقول " " انشغلت في جملة ما انشغلت بقضايا الذّات ونوازعها. ومن ثم كانت مفتوحة على تعدّد التّجارب مسكونة بهاجس التّعبير الرّمزي حتّى ليستغلق المعنى على القارئ أحيانا " [6]

---

[1] – تأليف جماعي، **تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر**، ص. 101.

[2] – المصدر نفسه، ص. 101.

[3] – محمد صالح الجابري، **الشّعر التّونسي المعاصر**، الدّار التّونسيّة للكتاب، 1989، ص. 489.

[4] – المصدر نفسه، ص. 489.

[5] – تأليف جماعي، **تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر**، ص. 96.

[6] – حسين العوري، **محمّد العروسي شاعرا**، ص. 64.

ISSN : 2410-1818

المطلب الثّالث: ذروة الغزل

غلب على ديوان "حبيّك" شعر الغزل. ولعلّ أكثر قصائده تعود إلى فترة الشّباب وإلى بديات محمّد العروسي المطوي في نظم الشّعر. لذلك لا نجد في هذه النّصوص خروجا عن المألوف في شعر الغزل من كلام على الصّبابة التي يعانيها الشّاعر ومن وصف لمفاتن المعشوقة، وإن حاول الشّاعر أن يؤكّد لنا أنّه " ظلّ نجيّا يسبّح للحبّ سبحا طويلا "[1]

يقول في قصيدته "نداء" مصوّرا لوعة الحب وتباريح الغرام:

أنت عمري قالها يوما حبيـــــــــــــــــب

شفّه الوجد هياما واشتوى منه لهيب

من حلال الحب والتهيام ويلاه كئيب

يرتجى من لفتة العينين إشفاقا بقلبي

وينادى: ليتني أفديك يا وجدي وحبي [2]

ويقول في قصيدته " الفجائي" واصفا بعض مفاتن المحبوبة:

ما أحلى ابتسامة ثغر

ونظرة عين، وطرف حنون

ينادي إلى فسحة في الجمال

وفي الطّيب، والزهر، والسّندس

ويا نعم طرفك من فاتن

يحط على غصن فينانة

لينعم بالدفء، دفء الحنان

ويسبح في همسات الجنان [3]

وتنزع بعض قصائده منزعا حسيّا إباحيّا كقوله في قصيدة "الشّاعر":

يا رشفة من ريقها ومصة كالسكرة

وقبلة محروره وضمة معطرة

---

[1] – محمّد العروسي المطوي، **حبيّك**، ص.45.

[2] – المصدر نفسه، ص. 49.

[3] – محمّد العروسي المطوي، **حبيك**، ص.18.

ISSN : 2410-1818

وخفقة من صدرها ملتثاثة منبهرة

تهتز من أشواقها آهاتها منصهرة [1]

ويمكن في النّهاية أن نمثّل لهذه الذّروة بقصيدة "يكفيك " التي يقول في طالعها:

حُبّيكِ مَرْفُوضٌ مِنْ كُلِّ مَنْ يَدْرِي

أَنَّ الهَوَى صَعْبٌ فِي آخِرِ العُمْرِ [2]

فهذه القصيدة من أوّلها إلى آخرها زفرات حرّى تدور على سؤال ممضّ عات: أنّى يكون لي حبّ وقد اشتعل الرّأس شيبا ووهن مني العظم. ولعلّ الشّاعر قد قال ما قال وهو يستحضر أبياتا من الشّعر العامي مثلما أشار إلى ذلك سوف عبيد في مقاله المشار إليه سابقا لا:

الشِّيبْ والمَعْصيهْ عِيبْ والزِّينْ حَيْرْ دَليلِي

نا مِحْنْتِي مِسْكِهْ الجِيبْ جَا جِيلَها بَعْد جِيلِي [3]

ولعلّه أيضا كان يعرف ما يعرفه علقمة الفحل حين قال:

فإنْ تَسألوني بالنِّساء فإنَّنـــــــي بصيرٌ بأدواءِ النِّساء طبيبُ

إذا شاب رأسُ المَرْءِ أو قَلَّ مالهُ فليس له من وُدِّهِنَّ نصيبُ

وعموما لئن وزّعنا مضامين دواوينه الشّعريّة على ثلاث ذرى فإنّها في النّهاية لا تخرج عن تيارين بارزين. ذلك أنّ الحرب الكونيّة الأولى قد ساهمت "في بروز تيارين بارزين في الأدب العربي" هما التّيار الوجداني، والتيّار القوميّ الاجتماعيّ، وقد كان يسيران متصاحبين متوازنين، يتعانقان حينا، ويتجافيان أحيانا، ولذلك كان لا بدّ للباحث في سبيل فهم أحدهما من فهم التّيار الآخر، لأنّ كليهما يمثّلان وجهين متقابلين، وقطاعين مضطربين لحياة عربية واحدة" [4]

---

[1] – المصدر نفسه، ص. 43.

[2] – المصدر نفسه، ص. 11.

[3] – نظم من اللّهجة التّونسية: الشِّيبْ(الشيب) والمَعْصيهْ (المعصية) عِيبْ (عيب) والزِّينْ (الجمال) حَيْرْ (حيّر) دَليلي (تفكيري) نا (أنا) جَا(أتى).

[4] – عمر الدّقاق، **الاتّجاه القومي في الشّعر العربيّ الحديث**، بيروت، دار المشرق العربيّ، ط.4، 1985، ص. ص.199– 200.

ISSN : 2410-1818

خاتمة البحث ونتائجه

قد يجد الدّارس صعوبات غير قليلة إذا رام أن ينزّل منزلة المطوي الشّعريّة منزلتها. فهل يحكم على التّجربة في صلتها بالدّور التي اضطلع به المطوي في إرساء الشّعر الحرّ في الأدب التّونسي؟ وعندئذ قد ينتهي إلى بعض ما انتهى إليه دارسو هذه التّجربة أمثال حسين العوري الذي أكّد أنّ المطوي" رائد قصيدة الشّعر الحرّ في بلادنا "[1] وأمثال محمّد صالح الجابري الذي قال " أهمّ ما أعطى محمدّ العروسي المطوي للشّعر التّونسي المعاصر ليس القصائد الوطنيّة المبكّرة التي ضمّنها ديوانه الأوّل "فرحة شعب". ولا هذه القصائد الأخيرة القليلة جدّا التي يضمّها ديوان الشّاعر المخطوط بعنوان" من الدّهليز" (...) وإنّما روح المبادأة والجرأة والتّحرر بإقدامه سنة 1945 ومعه ثلّة قليلة جدّا من الشّعراء على الكتابة والدّعوة إلى الشّعر الحرّ"[2]، أم هل ينتقي قصيدة من قصائده مثلما فعل سوف عبيد الذي حلّل قصيدته" يكفيك " وخلص إلى القول" ورغم أنّ المطوي يُعتبر من الأدباء التّونسيين وحتّى العرب الأوائل الذين كتبوا الشّعر الحُرّ الذي يعتمد على أساس التّفعيلة وذلك قُبيل منتصف القرن العشرين، ورغم أنّه كتب عديد القصائد ضمن الغرض الوطني الملتزم بالقضايا التحرّرية والاجتماعية فإنّ قيمة شعره تتجلّى لنا في تلك القصائد ذات المنحى الوجداني الذّاتي بما فيها من توهّج ومكابدة و خُصوصيّة أيضا ! "[3]

وإجمالا لعلّ أهمّ ما يمكن أن نحتفظ به من هذه الملاحظات الأوليّة حول الشّكل والمضمون في دواوين محمّد العروسي المطوي يتلخص في النتائج التالية:

- عاش المطوي تردّدا لطيفا في الاتّصال بالسّنة الشّعريّة والانفصال عنها. فنحن رأيناه متعلّقا بأستار القديم حتّى لكأنّه الهيكل الذي يفرض على الشّاعر أن يتحرّم بأهدابه إن أراد لفنّه الحياة والاستمرار. ونحن رأيناه أيضا قد خرج عن المسالك التي سار فيها أسلافه حتّى لكأنّه أشار – أو قل إنّه صرّح بذلك - أنّ مآسي اللّحظة الرّاهنة تستوجب" أساليب معاصرة ". وقد يوحي هذا التّردّد الذي يبلغ أحيانا حدّ التّخوم بأنّ الشّعراء الوطنيّين في هذه المرحلة قد عاشوا حيرة ممضّة وعانوا اضطرابا عاتيا، فلا هم استطاعوا أن يطمئنّوا الاطمئنان كلّه لأساليب الشّعريّة القديمة ولا هم استطاعوا أيضا أن ينطلقوا من " أرض محروقة".

---

[1] – حسين العوري، **محمّد العروسي شاعرا**، ص. 63.

[2] – محمّد صالح الجابري، **الشّعر التّونسي المعاصر**، الدّار العربيّة للكتاب، 1989. وقريبا من هذه العبارات كتب حسين العوري يقول " نحن مع محمد صالح الجابري حين قال إنّ أهمّ ما أعطى محمّد العروسي المطوي للشّعر التونسي إنّما هي روح المبادأة والجرأة والتّحرّر" حسين العوري، **محمّد العروسي شاعرا**، ص.68.

[3] – سوف عبيد، **من عزف الحياة إلى نشيد الموت**، ص. 140.

ISSN : 2410-1818

- بدا لنا أنّ إدراك خصائص الخطاب في تجربة محمّد العروسي المطوي الشّعريّة يتوقّف على مراعاة علاقتين علاقة الشّاعر بتراثه وعلاقته بواقعه وما يعجّ فيه من أحداث وتطوّرات. فممّا لا تكاد نشكّ فيه هو أنّ الشّاعر في هذه المرحلة قد وجد نفسه موزّعا بين أنموذج شعريّ قديم اكتملت خصائصه واستقرّت ملامحه، و"أنموذج " شعريّ حديث يروم مخالفة أصوله التي ارتبطت أكثر ما ارتبطت بنزعة الذّات في أطوارها المختلفة ويروم أيضا أن يحوز لنفسه من الخصائص ما يجعله نصّا شعريّا حقيقا بالإجلال.

ويبدو أنّ الصّراع بين هذين القطبين قد حدّد الأسس العامّة التي صدر عنها الشّاعر. ولهذا فإنّه حين يحاول التّشبّث بالماضي لم يقصد مجرّد التّأكيد على أنّه قد ملك من خصائص القول الشّعريّ ما يجعل مرتبته غير بعيدة عن مرتبة الفحول. بل هو، فيما نعتقد، قد حاول التّمسّك بالأصول في عصر أصبح القابض فيه على الهويّة كالقابض على النّار.

التوصيات

- تحتاج قصائد محمّد العروسي المطوي المخطوطة والمنشورة إلى جمع ونشر حتى تكتمل صورة هذا الأديب شاعرا. فصاحبها رائد من رواد الشّعر العربي الحديث في تونس. وشعره مقترن بمنعرج حاسم في تاريخ القصيدة الحديثة. وإذا سلّمنا بما قاله بعض النّقاد أنّ المطوي كان من الشّعراء التّونسيين الأوائل الذين كتبوا الشّعر الحُرّ الذي يعتمد على أساس التّفعيلة وذلك قُبيل منتصف القرن العشرين بدت لنا ضرورة جمع شعره ونشره.
- لعلّه من الضّروري دراسة الخطاب النّقدي لمحمّد العروسي المطوي سواء أكان قديما (كتابه "امرؤ القيس") أم حديثا (مقدمة ديوانه " من الدّهليز " و المقدّمة التي وضعها لكتاب محمّد صالح الجابري " الشّعر التّونسيّ المعاصر) حتّى نقف على مدى الانسجام أو التّنافر بين خطابه النّقدي ونصّه الإبداعي.

ISSN : 2410-1818

مصادر البحث ومراجعه

المصادر

- **المطوي**، محمّد العروسي، ، تونس، الشّركة القوميّة للنّشر والتّوزيع، 1963.
- ـــــــــ، من **الدّهليز**، تونس، الشّركة التّونسية لفنون الرّسم، ط.1، 1987.
- ـــــــــ، **حُبّيك**، تونس، الشّركة التّونسية للنّشر وتنمية فنون الرّسم، ط.1، 2002.

المراجع

- **أشهبون**، عبد الملك، **عتبات الكتابة في الرّواية العربيّة**، دار الحوار للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 2009.
- تأليف جماعي، **تاريخ الأدب التّونسي الحديث والمعاصر**، تونس، المجمع التّونسي للعلوم والآداب والفنون والحكمة، 1993.
- **الجابري**، محمّد صالح، **ديوان الشّعر التّونسي تراجم ومختارات**، تونس، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع، 1974.
- ـــــــ، **الشّعر التّونسيّ المعاصر، 1870/ 1970**، تونس، الشّركة التّونسيّة للتّوزيع، 1974.
- ـــــــ، **الشّعر التّونسي المعاصر**، الدّار العربيّة للكتاب، 1989.
- **الجواهري**، محمّد مهدي، **الدّيوان**، بيروت، دار العودة، 1982.
- **أبو حاقة**، أحمد، **الالتزام في الشّعر العربي**، بيروت، دار العلم للملايين، ط.1. 1979.
- **الحجمري**، عبد الفتاح، **عتبات الكتابة: البنية والدلالة**، الدّار البيضاء، منشورات الرّابطة، 1996.
- ابن رشيق القيرواني، **أنموذج الزّمان في شعراء القيروان**، تحقيق محمّد العروسي المطويّ وبشير البكوش، تونس، الجزائر، الدّار التوّنسية للكتاب، المؤسّسة الوطنيّة للكتاب، 1968.
- **الدسوقي**، عمر، **في الأدب الحديث**، دار الفكر العربيّ، ط. 7، 1979.
- **الدّقاق**، عمر، **الاتّجاه القومي في الشّعر العربيّ الحديث**، بيروت، دار المشرق العربيّ، ط4، 1985.
- **ذاكر**، عبد النّبي ذاكر، **عتبات الكتابة مقاربة لميثاق المحكي الرّحلي العربيّ**، أكادير، كلية الآداب والعلوم الإنسانيّة، ط.1، 1998.
- **بن صالح**، الميداني، **قرط أميّ**، تونس، الدّار التونسية للنّشر، 1969.
- **العوري**، حسين، **تجربة الشّعر الحرّ في تونس حتى نهاية 1968**، تونس، منشورات كلية الآداب منوبة، 2009.
- **المطوي**، محمّد العروسي، **امرؤ القيس**، تونس، الشّركة التّونسيّة لفنون الرّسم، ط1، 1955.

ISSN : 2410-1818

- **المطوي**، محمّد الهادي، **الرّؤية النّقديّة عند محمّد العروسي المطويّ**" تونس، النّادي المطوي للتّعارف والتعّاون، 1995.

الدّوريات

- **بوطيب**، عبد العالي، **برج السّمود وإشكالية العلاقة بين الرّوائي والتّاريخي**، المناهل، المغرب، ع 55، يونيو 1997.
- **عبيد**، سوف، من **عزف الحياة إلى نشيد الموت**، قصص (تونس)، ع 136، 2006.
- **العوري**، حسين، **محمّد العروسي المطوي شاعرا**، المسار (تونس)، ع52، جويلية أوت 2001، ص. ص 63- 68.
- **قاسم**، عبد العزيز، **الشّابي بعد أربعين سنة**، مجلّة الفكر، س. 20، ع. 04، جانفي 1975.
- **موسى**، آمال، **حول دور الشّعراء في زمن الشّر السّائل**، الشّرق الأوسط، ع. 14446، 17 يونيو 2018.
- **المطوي**، محمّد العروسي، **الفيتوري الشّاعر الثّائر**، الفكر(تونس)، س.1، ع. 8، ماي 1956.